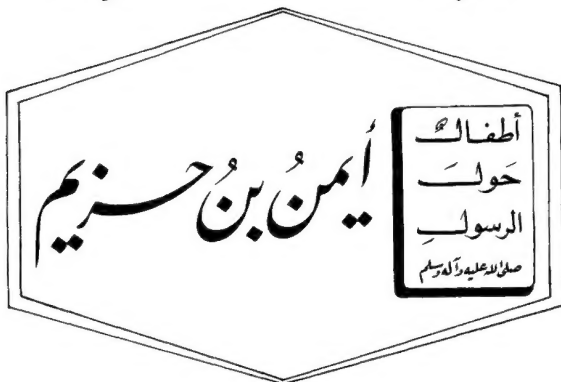


فَجَدُّ الْهَدْيِ وَالْإِيمَانِ



مراجعة وتدقيق
أحمد عبد الله فرهود

إعداد الدكتور
محمد حسني مصطفى

جميع الحقوق محفوظة لدار القلم العربي بحلب والجزيرة. هذا الكتاب أو أي جزء منه
أو طبعته وبسخه أو تسجله إلا بإذن مكتوب من الناشر .



منشورات

دار القلم العربي بحلب

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م

عنوان الدرر

سورية - حلب - خلف الفندق السياحي

شارع هدى الشيعراوي

هاتف | ٢١٣١٢٩ | ص.ب | ٧٨ | فاكس ٠٢١٠٢١٢٣٦١

بسم الله الرحمن الرحيم

موجز سيرته

هو أيمن بن خريم الناعم بن فاتك الأسدي . أسلم أبوه يوم فتح مكة ^(١) ، وكان معه ابنه أيمن ، كما قال ابن سعد في كتابه الطبقات ، وابن حجر في الإصابة ، وكان أيمن من ذوي السياسة المحيدة ، يتعدى عن الخوض في الاختلاف ، ولا يناصر فئة من المسلمين على فئة ، ويجعل قوته ومواهبه وملكاته في قراع الكافرين فقط ، وكان عبد العزيز بن مروان يقرّبه ، في مصر ، ثم انتقل أيمن إلى أخيه بشر بن مروان في العراق .

ومولده مع الهجرة النبوية ، أو قبلها بيسير ، أمّا وفاته فكانت سنة

ثمانين للهجرة

ويبدو أن خريماً انتقل بابنه أيمن إلى الكوفة ، ومع أن أيمن قد غزا مع يحيى بن الحكم فإنه اعتزل هو وأبوه حرب الجمل وصقّين وما بعدهما ، أي الحروب التي دارت بين عبد الله بن الزبير وبني أمية منذ أيام يزيد بن معاوية إلى أيام عبد الملك بن مروان . وروى أيمن بن خريم الحديث النبوي .

^(١) ولكن أيمن بن خريم يذكر أن أباه شهد بدرًا .

ترجمته في الإصَابَة (برقم ٣٩٣)

" أيمن بن خريم بن الأخرم بن شداد بن عمرو بن فاتك بن العليب ابن عمرو بن أسد بن خزيمه بن مدركة الأسدي . قال المبرد في الكامل : " له صحبة " وأنشد له شعراً قاله في قتل عثمان ، يقول فيه :

إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَتْلَهُ سَفَهًا

لَقَوْا أَثَامًا وَخَسِرَانًا وَمَا رَبِحُوا

وقال المرزباني : قيل له صحبة .

وقال ابن عبد البر : أسلم يوم الفتح ، وهو غلام يَفْعَة .

وقال ابن السكن : يقال له صحبة .

وأخرج له الترمذي حديثاً عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، واستغربه .

قال الصولي : كان أيمنُ خليلَ الخلفاء لإعجابهم به ، وبحديثه ، لفصاحته وعلمه ، وكان به وَضَحٌ ^(١) يغيّره بزعفران ، فكان عبد العزيز يؤاكله ، ويحتمل له ما به من الوضوح لإعجابه به "

شعره

أيمنُ بن خُرَيْم شاعر وجداني مُجيد ، فصيح الألفاظ ، سهل التراكيب ، متين النسج ، على أن معانيه تغمض أحياناً .
وفنون شعره المديح والهجاء والغزل والحكمة والثناء .

(١) الوضوح : البرص .

ويرى المرزبانى في الموشح أن ابن خريم كان ضعيف المدح ، لأنه لم يكن يرقى في المبالغة إلى حيث يليق بالملوك ^(١) على أن عبد الملك بن مروان كان يعجب بمديح أيمن . وكما تقدم فإنه لم يكن يبالغ في ممدوحيه ، ولم يكثر من تشبيههم بالأسود أو البحور أو الجبال . وهو حسن الوصف للنساء .

اجتنابه الفتن

ذكر العتي في آن منازعة وقعت بين عمرو بن سعيد وعبد العزيز بن مروان فتعصب لكل واحد منهما أخواله ، وتداغوا بالسلاح واقتتلوا ، وكان أيمن بن خريم حاضراً للمنازعة ، فاعتزله هو ورجل من قومه ، يقال له ابن كوز ، فعاتبه عبد العزيز وعمرو جميعاً على ذلك ، فقال :

وأقتل بين حجاج بن عمرو	وبين خصيمه عبد العزيز
أنقتل ضلة في غير شيء	ويبقى بعدنا أهل الكنوز
لعمرك أبى ما أوتيت رشدي	ولا وفقت للجرز الحريز ^(٢)
فأتى تارك لهما جميعاً	ومعتزل كما اعتزل ابن كوز

إذا اختصم زيد وعمرو فليس من الرشاد أن تخوض في نزاعهما ، وتزهق نفسك بين الفريقين ، في ضياع ، ويكون الغنم لأحدهما ، إن ذلك ليس من الإصاية في شيء ، وما هو بالعمل المعصوم من الزلل .

^(١) الموشح : ٢٢٢ .

^(٢) الجرز : الحصن المنيع .

وذلك ما جعل الشاعر يجتنب الطرفين ، ويسلك مسلك ابن كوز في
اعتزال هذه الفتنة .

والشاعر يستعمل الإنشاء الطلبي ، فيورد استفهامين خرج كلّ منهما
إلى معنى الاستنكار ، ويستعمل الخبر الطلبي ، ويؤكدده بالقسم مرة ،
وبالحرف المشبه بالفعل " إن " مرة أخرى .

سخطه على يحيى بن الحكم

كان أيمن بن خريم من يحبون الجهاد ، فكان يغزو في جيش يحيى بن
الحكم ، الذي كان يمعن الفتوح في آسية ، فأصاب يحيى بن الحكم جارية في
غزاة الصائفة ، وكان في الجارية وَضَحٌ ^(١) فقال : أعطوها أيمن بن خريم ،
وكان موضحاً ، فغضب ، وأنشأ يقول :

تركت بني مروان تندى أكفهم وصاحبت يحيى ضيلةً من ضلاليا
فإنك لو أشبهت مروان لم تقل لقومي هجراً أن أتوك ولالسيا ^(٢)
وانصرف عنه ، فأتى عبد العزيز بن مروان في مصر .

استحسان عبد الملك لأبيات له

قال عبد الملك بن مروان :

يا معشر الشعراء تشبهونا مرةً بالأسد الأبحر ، ومرةً بالجليل الأوعر ،
ومرةً بالبحر الأجاج ، ألا قلتم فينا كما قال أيمن بن خريم في بني هاشم :

^(١) وضح : برص .

^(٢) هجر : كلام فيه فحش .

نَهَارَكُمْ مَكَابِدَةً وَصَوْمٌ وَلَيْلُكُمْ صَلَاةً وَاقْتِرَاءً ^(١)
وَلَيْتُمْ بِالْقُرَانِ وَبِالتَّزَكِّي فَأَسْرَعَ فَيْكُمْ ذَاكَ الْبَلَاءُ ^(٢)
بَكَى نَجْدَ غَدَاةٍ غَدٍ عَلَيْكُمْ وَمَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ وَالْجَوَاءُ ^(٣)
وَحَقٌّ لِكُلِّ أَرْضٍ فَارِقُوهَا عَلَيْكُمْ لَا أَبَالِكُمْ الْبُكَاءُ
أَجْعَلْكُمْ وَأَقْوَاماً سُوءاً وَبَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمُ الْهَوَاءُ

وهو ينسب المكابدة إلى النهار ، لا إليهم ، مع أنهم هم المرادون ،
على سبيل المجاز ذي العلاقة الزمانية . وكذلك يصنع حين يسند الصلاة
والقراءة إلى الليل ، ويعمد إلى حذف المضاف في قوله :

بَكَى نَجْدَ غَدَاةٍ غَدٍ عَلَيْكُمْ وَمَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ وَالْجَوَاءُ
والتقدير : أهل نجد وهذه المناطق .

ويشخص الأرض بامرأة تبكي ، على سبيل الاستعارة المكنية .

عبد الملك يتحمل عنه دية امرأته

قال أبو الفرج الأصبهاني :

أخبرني الحسن بن علي ، عن أحمد بن زهير ، عن أبي همام الوليد بن
شجاع ، قال : حدثنا عبد الله بن إدريس ، قال :

^(١) اقتراء : قراءة قرآن .

^(٢) التزكي : التطهر .

^(٣) الجواء : اسم موضع .

أصاب أيمنُ بن خريم امرأةً له خطأ - يعني قتلها - فوداها عبد الملك
ابن مروان : أعطى ورثتها ديتها وكفر عنه كفارة القتل ، وأعطاه عِدَّة
جوارٍ ، ووهب له مالاً ، فقال أيمن :

لَقِيتُ مِنَ الْغَاثِيَاتِ الْعُجَابَا لَوْ اذْرَكَ مِنِّي الْغَوَاثِي الشَّبَابَا
وَلَكِنْ جَمَعَ الْعَذَارَى الْحَسَانِ عَنَاءَ شَدِيدِ إِذَا الْمَرْءُ شَابَا .
فهو يعجب من كُفْرِ النِّسَاءِ لِلْعَثِيرِ (الزوج) بعد مَثِيبِهِ وَعَجْزِهِ ، لا
فِي أَيَّامِ قُوَّتِهِ وَشَبَابِهِ وَقَدْ سَاقَ أَبُو الْفَرَجِ هَذَا الشَّعْرَ بِهَذَا السَّبَبِ ، وَهُوَ أَنَّ
ابْنَ خَرِيمٍ قَتَلَ امْرَأَتَهُ بِالْخَطَا ، فَتَحْمَلُ عَبْدُ الْمَلِكِ عَنْهُ دِيَّتَهَا ، وَمُنَحَهُ مَالاً
وَجَوَارِي فَقَالَ الْأَيَّامُ .

على أَنَّ أبا الْفَرَجِ كَانَ قَدْ سَاقَ الْأَيَّامُ قَبْلَ ذَلِكَ فِي مَطْلَعِ تَرْجَمَتِهِ
لَأَيْمَنِ بْنِ خَرِيمٍ ، فِي سِيَاقٍ نَالَ فِيهِ مِنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، عَلَى طَرِيقَةِ أَبِي
الْفَرَجِ فِي اللَّمَزِ الْخَفِيِّ الْمَخْبُوءِ ، وَكَانَ أَبُو الْفَرَجِ يَكْرَهُ خُلَفَاءَ بَنِي أُمَيَّةَ
وَحُلَفَاءَ بَنِي الْعَبَّاسِ .

قال أبو الْفَرَجِ : أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ
مَهْرُوبٍ قَالَ : حَدَّثَنِي النُّوشْجَانِيُّ ، عَنْ الْعَمْرِيِّ ، عَنْ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيٍّ ، عَنْ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِيَّاشٍ ، عَنْ مُجَالِدٍ ، قَالَ :

كَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ شَدِيدَ الشَّغْفِ بِالنِّسَاءِ ، فَلَمَّا أَسْنَّ ضَعْفٌ ، وَازْدَادَ
غَرَامُهُ بِهِنَّ ، فَدَخَلَ إِلَيْهِ يَوْمًا أَيْمَنُ بْنُ خَرِيمٍ ، فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ أَنْتَ ؟
فَقَالَ : بِخَيْرٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

قال : فَكَيْفَ قُوَّتُكَ ؟

قال : كما أحبُّ والله الحمد ، إِنِّي لَا أَكُلُ الْجَدْعَةَ مِنَ الضَّأْنِ بِالصَّاعِ
 مِنَ الْبُرِّ ^(١) ، وَأَشْرَبُ الْعُسَّ ^(٢) الْمَمْلُوءَ أَعْبُهُ عِبًّا ، وَأُرْتَحِلُ الْبَعِيرَ الصَّعْبَ
 وَأُنْصِيهِ ^(٣) وَأَرْكَبُ الْمُهْرَ الْأَرْنَ ^(٤) ، فَأَذِلُّهُ ... (وَذَكَرَ حَالَهُ مَعَ أَهْلِ بَيْتِهِ)
 فغَاظَ عَبْدَ الْمَلِكِ قَوْلُهُ ، وَحَسَدَهُ ، فَمَنَعَهُ الْعِطَاءَ ، وَحَجَبَهُ ، وَقَصَدَهُ
 بِمَا كَرِهَ ، حَتَّى أَثَرُ ذَلِكَ فِي حَالِهِ .

فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ :

وَيَحَكَّ اصْدَقْنِي عَنْ حَالِكَ ، هَلْ لَكَ جُرْمٌ ؟

قال : لَا وَاللَّهِ .

قَالَتْ : فَأَيُّ شَيْءٍ ذَارَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ آخِرَ مَا لَقَيْتَهُ ؟

فَأَخْبَرَهَا .

فَقَالَتْ : إِنَّا لِلَّهِ ، مِنْ هَا هُنَا أُتَيْتَ ، أَنَا أَحْتَالُ لَكَ فِي ذَلِكَ حَتَّى أُزِيلَ
 مَا جَرَى عَلَيْكَ ، فَقَدْ حَسَدَكَ الرَّجُلُ عَلَى مَا وَصَفْتَ بِهِ نَفْسَكَ .

فَتَهَيَّأَتْ ، وَلَبَسَتْ ثِيَابَهَا ، وَدَخَلَتْ عَلَى عَاتِكَةِ زَوْجَتِهِ ، فَقَالَتْ :
 أَسْأَلُكَ أَنْ تَسْتَعْدِيَ ^(٥) لِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى زَوْجِي .

قَالَتْ : وَمَا لَهُ ؟

قَالَتْ : وَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَنَا مَعَ رَجُلٍ أَوْ حَائِطٍ ؟ وَإِنَّ لَهُ سَنِينَ مَا يَعْرِفُ
 فِرَاشِي ، فَسَلِّهِ أَنْ يَفْرُقَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ .

^(١) الْجَدْعَةُ : الْفَتْيَةُ . الصَّاع : نَوْعٌ مِنَ الْمَكَايِيلِ ، وَهُوَ أَكْبَرُ مِنَ الْمَدِّ ، وَالْبُرُّ : الْقَمْحُ .

^(٢) الْعُسَّ : الْقَدَحُ . ^(٣) أَنْصِيهِ : أَتَعْبِهِ . ^(٤) الْأَرْنَ : النَشِيطُ .

^(٥) أَنْ تَسْتَعْدِيَ : أَنْ تَسْتَنْفِرِيهِ وَتَجْعَلِيهِ يَعْتَدِي وَيَنْتَقِمَ مِنْ أَيْمَنِ بْنِ خَرِيمٍ ، بِمَقَاصِلَتِهِ عَنْ
 زَوْجَتِهِ .

فخرجت عاتكة إلى عبد الملك ، فذكرت ذلك له ، وسأله في أمرها ، فوجه إلى أيمن بن خريم فحضر ، فسأله عما شكت منه ، فاعترف بذلك . فقال له : أو لم أسألكَ عاماً أوّل عن حالك ، فوصفت لي كيت وكيت ^(١) ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ الرجل ليتجملُ عند سلطانه ويتجلّد على أعدائه بأكثر مما وصفتُ نفسي به ، وأنا القائل :

لَقِيتُ مِنَ الْغَايَاتِ الْعُجَابَا	لَوْ أَدْرَكَ مِنِّي الْغَوَايِ الشَّبَابَا ^(٢)
وَلَكِنْ جَمَعَ النِّسَاءَ الْحَسَانِ	عَنَاءَ شَدِيدٍ إِذَا الْمَرْءُ شَابَا
وَلَوْ كَلِمَتٌ بِالْمَدِّ لِلْغَايَاتِ	وَضَاعَفَتْ فَوْقَ الثِّيَابِ الثِّيَابَا ^(٣)
إِذَا لَمْ تُنْلِهْنِ مِنْ ذَلِكَ ذَلِكَ	جَحْدَنَكَ عِنْدَ الْأَمِيرِ الْكِتَابَا ^(٤)

وروي :

بَغْيَتِكَ عِنْدَ الْأَمِيرِ الْكِذَابَا ^(٥)

يَذْدُنَ بِكُلِّ عَصَا ذَائِدٍ وَيُصْبِخُنَ كُلُّ غَدَاةٍ صِعَابَا ^(٦)
فجعل عبد الملك يضحك من قوله ، ثم قال :

^(١) كيت وكيت : كذا وكذا .

^(٢) روى : لَوْ أَنَسَنَ مِنِّي الْغَوَايِ الشَّبَابَا وَأَنَسَ : علم ، أدرك ، أعيرت الفتحة للواو قبلها .

^(٣) كَلِمَتٌ : ملأت الكَيْلَ ، يقال كال يكيل . المدة : مكيال يتسع قرابة (لير) ، أو دونه بقليل .

^(٤) إِذَا لَمْ تُعْطِينَ حَاجَاتِهِنَّ سَفَّهْنَكَ عِنْدَ الْحَاكِمِ ، وافترين عليك .

^(٥) بغى : طلب .

^(٦) يَذْدُنَ . ذاد : دفع . الذائد : (هنا) بمعنى الرّاعي .

أولى لك يا بن خريم ، لقد لقيتَ منهمَ ترحاً^(١) ، فما ترى أن نصنعَ
فيما بينك وبين زوجتك ؟ قال :

تستأجلها إلى أجل العَين ، وأداريها لعلِّي أستطيع إمساكها . قال :
افعلْ ذلك .

ففعَلَ ورَدَّها إليه ، وأمرَ له بما فات من عطائه ، وعاد إلى بَـرّه
وتقريبه^(٢) . "

قال أبو الفرج :

" عن ابن قتيبة قال : قال له عبد الملك لما أنشده هذا الشعر : ما
وصف النساءَ أحدٌ مثل صفتك ، ولا عرفهنَّ ، أحدٌ معرفتك .

فقال له أيمن : لئن كنتُ صدقتُ في ذلك لقد صدقَ الَّذي يقول :

فإن تسألوني بالنساءِ فإنني خبيرٌ بأدواء النساءِ طبيباً
إذا شابَ رأسُ المرءِ أو قلَّ ماله فليس له من وُـدْهِنِ نصيبِ
يرِدْنَ ثَراءَ المالِ حيثُ علِمْنَهُ وشرخُ الشَّبابِ عِندَهنَّ عَجيبُ^(٣)
فقال له عبد الملك : قد عمري صدقتما وأحسنتما^(٤) . " والأبيات

للشاعر غُلَقَمَة بن عبدة يمدح بها الحارث ويسأله إطلاق ابنه شأس

(١) الترح : الحزن .

(٢) الأغاني (دار الثقافة) ٢٠ / ٢٦٩ .

(٣) شرخُ الشباب : أوله ونضارته .

(٤) الأغاني ٢٠ / ٢٧٤ .

نقل عبد العزيز لشعره

دخل نصيب ^(١) يوماً على عبد العزيز بن مروان وهو والٍ على مصر ، فأنشده قصيدة له امتدحه بها فأعجبته ، وأقبل على أيمن بن خريم ، فقال كيف ترى شعر مولاي هذا ؟

قال : هو أشعر أهل جلدته .

فقال : هو أشعرُ والله منك .

قال : أمني أيها الأمير ؟

قال : إي والله .

قال أيمن : لا والله ، ولكنك طُرف ^(٢) مَلُول .

فقال له : لو كنت كذلك ما صبرتُ على مؤاكلة من منذ سنة وبك

من البرص ما بك .

فقال : ائذن لي أيها الأمير في الانصراف .

قال : ذلك إليك .

^(١) نصيب بن رباح ، أبو مخجن : مولى عبد العزيز بن مروان ، شاعر فحل ، مقدّم في النسب والمدائح . كان يُعدُّ مع جرير وكثير عزة . وتنسك في أواخر عمره . وكان له بنات سود - مثله - امتنع عن تزويجهن الموالى ولم يتزوجهن العرب ، ف قيل له : ما حال بناتك ؟ فقال : صبيت عليهن من جلدي ، فكسدن عليّ وقال :

كسدن من الفقر في بيتهنّ

وقد زادهن سوادي كسودا

^(٢) الطُرف : الذي لا يثبت على صحبة أحدٍ للملّة .

فمضى لوجهه حتى لحق بيشر بن مروان ، وقال فيه :

ركبتُ من المقطم في جمادى	إلى بَشْر بن مروان البريدا ^(١)
ولو أعطاك بَشْر ألف ألف	رأى حقاً عليه أن يزيدا
أمير المؤمنين أقم ببشر	عمود الدين ، إن له عمودا
ودع بَشْراً يقومهم ويحدث	لأهل الزَّيغ إسلاماً جديدا ^(٢)
وإننا قد وجدنا أم بَشْر	كأَم الأسد مذكراً وكُودا ^(٣)
كأن التَّاج تاج أبي هرقل	جلوه لأعظم الأيام عيدا
يُحالف لونه ديباج بَشْر	إذا الألوان حالفت الخدودا ^(٤)

فقبله بشر بن مروان ووصله ولم يزل أثيراً عنده .

وبشر بن مروان بن الحكم ، أخو عبد الملك ، ولاه أخوه البصرة والكوفة ، ومات سنة ٧٥ هـ عن ثيف وأربعين سنة .

وهو أخو عبد العزيز بن مروان أيضاً ، وكان عبد العزيز والي مصر لأبيه ، وكان يقطاً عارفاً بسياسة البلاد ، شجاعاً جواداً تنصب حول داره كل يوم ألف قصعة للأكليين ، وتحمل مئة قصعة على العجل إلى قبائل مصر . واستمر إلى أن توفي سنة ٨٥ هـ وهو والد الخليفة عمر بن عبد العزيز .

من مدحه لبشر بن مروان

لما أتى أيمن بن خريم بشر بن مروان نظر الناس يدخلون عليه أفواجا ، فقال : مَنْ يُؤدِّن ^(٥) لنا الأمير أو يستأذن لنا عليه ؟ فقيل له : ليس

^(١) المقطم : جبل شرقي القسطنطينية التي سميت فيما بعد مدينة ابن طولون ، ثم سميت القاهرة . ^(٢) الزَّيغ : الانحراف . ^(٣) مذكور : تلد الذكور .

^(٤) يعرض بنمش كان بوجه عبد العزيز بن مروان . ^(٥) يؤدِّن : يُعلمه بمجئنا .

على الأمير حجاب ولا ستر ، فدخل وهو يقول :

يُرى بارزاً للناس بشرٌ كأنه إذا لاحَ في أثوابه قمرٌ بَدُرٌ
ولو شاءَ بشرٌ أغلقَ البابَ دونَه طماطمٌ سودٌ أو صقالية شَقَرٌ^(١)
أبى ذا ولكن سَهْلَ الإِذْنِ لِلَّتِي يكونُ له في غَبَاها الحمْدُ والشُّكْرُ
فضحك إليه بشر ، وقال : إنا قوم نحجبُ الحرم ، وأما الأموال
والطعام فلا ، وأمر له بعشرة آلاف درهم .

الخوارج

لم يرض جمهور المسلمين الأعظمُ عن مروق الخوارج ، وتطرفهم
وشذوذهم ، وتكفيرهم الأمة ، ويعجب أئمنُ بن خريم كيف لا يسحقهم
الجيـش الأموي :

أتينا بهم مائتي فارسٍ من السَّافِكين الحَرَامِ القَيْطَا^(٢)
وخمسون من مارقات النساء يَسْحَبْنَ للمُنْدِياتِ المُرُوطَا^(٣)
وهم مائتا ألفٍ ذي قَوْنَسٍ يَنْطُ العِراقانُ منهم أَطِيطَا^(٤)
رأيتُ غِزالَةً إنْ طَرَحَتْ بمَكَّةَ هودجها والغَبِيطَا^(٥)
سَمَتْ للعِراقين في جَمْعِها فَلَاقَى العِراقانُ منها بَطِيطَا^(٦)
ألا يَسْتَحْيِ اللهَ أَهْلُ العِرا قَ إنْ قَلَدُوا الغَانياتِ السُّمُوطَا^(٧)

(١) طماطم : جمع طمطم ، وهو الذي في لسانه عجمة الصقالية : هم السُّلاف ، في
شرقي أوربا . (٢) العبيط : الدم الخالص الطَّري .

(٣) المُنْدِيات : المُخْزِيات . والمُرُوط : جمع مِرْط ، وهو كساء يُوْتَرز به

(٤) القَوْنَس : الحُوْذَة . يَنْطُ : يَصوْتُ . العِراقان : الكوفة والبصرة

(٥) الغَيْط : الرَّجُل . (٦) البَطِيط : شِقَّ الجِرح .

(٧) السُّمُوط : جمع سَمَط ، وهو القِلادة .

وخيّلُ غزاةً تُسبي النساءَ وتحوي النهَابَ ، وتحوي النَّبِيْطَ ^(١)
ولو أنْ لوطاً أَمِيرَ لَكُمْ لأَسْلَمْتُمْ فِي الْمَلَمَّاتِ لَوْطاً

فماتان من الخوارج سفاكي الدماء ، معهم خمسون مقاتلةً ، وجيش بني أمية مائتا ألف ، مجلبتهم وغمغمتهم ، لكن هؤلاء القلّة من الخوارج يذيقون الجيش الأموي ألواناً من الهزائم والخسائر والجراح ، ويرى ابن خريم أن رجال الجيش الأموي ما هم برجال ، ولا ينبغي لهم أن يقتلوا نساءهم السّموط والقلائد ، لأنّ هؤلاء الرجال أولى بهم أن يقتلّوها هم ، فهاهم أولاء ينهزمون أمام القائدة الخارجيّة " غزاة " التي تغيّر على العراق ، فتأسر من نساء بني أمية ، وتحوز أسلابهم ، وتسوق فريقاً من رعاياهم عبيداً أسارى ، ويتهم جيش العراق بالتخاذل ، وأنّهم ينفضون عن قيادتهم .

رثاؤه لعثمان رضي الله عنه

كان أيمن بن خريم ذا مسلكٍ حياديٍّ بين الفئات الإسلاميّة ، لذلك لم يخضَ معركة الجمل وصفين ، وكان يحافظ على حياديته ما لم تتطّرف إحدى الفئات ، فعندئذ ينتقدّها ، ويبين شذوذها ، كما فعل في النصّ السابق ، فهو يهدف فيه إلى بثّ الحميّة في صفوف بني أمية ، ليأخذوا على أيدي الخوارج ، ويقضوا على تمرّدهم ، وأيضاً فعندما قتل الرّعاع من أهل الشّعب سيدنا عثمان رضي الله عنه رثاه أيمن بن خرّيم رثاء حاراً يقول في تضاعيفه :
تَفَاقَدَ الذَّاهِبُ عِثْمَانَ ضَاحِيَةً أَيَّ قَتِيلٍ حَرَامٍ - ذُبِّحُوا - ذُبِّحُوا
ضَحَّوْا بِعِثْمَانَ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَلَمْ يَخْشَوْا عَلَى مَطْمَحِ الْكَفِّ الَّتِي طَمَحُوا
فَأَيَّ سُنَّةٍ جَوْرَ سَنَ أَوْلَهُمْ وَبَابِ جَوْرٍ عَلَى سُلْطَانِهِمْ فَتَحُوا
مَاذَا أَرَادُوا أَضَلَّ اللَّهُ سَعِيَهُمْ مِنْ سَفْحِ ذَاكَ الدِّمِّ الزَّائِكِي الَّذِي سَفَحُوا

^(١) النهَاب : الغنائم ، الأسلاب . النبيط : عرق ينحدر من سلالة الأنباط ، كان يسكن في بطائح العراق .

إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَتْلَهُ سَفْهًا لَا قُوَّةَ أَثَامًا وَخَسِرَانَا وَمَا رَجَحُوا

حياديته

إذاً لا ينحاز أيمن إلى فئة مسلمة ضد فئة ، إلا أن تُبدي إحداهما شططاً ، أو تريد بغياً ، فيذمها ، كما صنع حين عابَ على الخوارج ، وعلى قتلة عثمان رضي الله عنه ، وفيما سوى ذلك نراه يُوازن في موقفه ويعتدل ويحيد ، وهذا ما يبدو واضحاً كل الوضوح عندما ندبه مروان بن الحكم لينضم إلى صفوفه وهو يحارب الضحَّاك بن قيس ، فأبى أيمن الانحياز ، وقال :

ولست مقاتلاً رجلاً يصلي	على سلطانٍ آخرَ من قُرَيْشٍ
أُفْقِلُ مسلماً في غير جرمٍ	فلستُ بِنافعي ما عشتُ عيشي
له سلطانه وعلى إثمي	معاذُ الله من جهل وطَيْشٍ

حديث رواه

رأى أيمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان أيمن صغيراً ، فلم يَرُ الحديثَ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وإنما عن الصحابة ، لكنْ أورد الكاند هلوي في حياة الصحابة هذا الخبر ، قال : " أخرج أحمد والترمذي - قال : غريب - والبلغوي وابن قانع وأبو نعيم عن أيمن بن خريم رضي الله عنه قال :

قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطيباً فقال : " يا أيها الناس غُذِلَتْ ^(١) شهادةُ الزور بالشرك بالله " قالها ثلاثاً . ثم قرأ (فاجتنبوا الرجسَ من الأوثان ، واجتنبوا قولَ الزور) ^(٢) " كذا في الكنز (٧ / ٤) " ^(٣)

^(١) غُذِلَتْ : قيسَتْ . قَوِّمَتْ . ^(٢) سورة الحج ٣٠ . ^(٣) حياة الصحابة ٤ / ٢١٠ .